

نتمة أحاديث رمضان ١٤٣١ - أمثال القرآن الكريم - الدرس (٣٢-٣٤) : الحديث الشريف (ما رأيت مثل الجنة ، نام طالبها).

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠١١-٠١-١٦

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين،
اللهم أخرجنا من ظلمات الجهل والوهم إلى أنوار المعرفة والعلم، ومن وحول الشهوات إلى جنات
القربات.

النذير :

أيها الأخوة الكرام، لا زلنا في دروس الأمثال في الكتاب والسنة، والحديث الشريف الذي هو
موضوع هذا الدرس قول النبي عليه الصلاة والسلام:
((مَا رَأَيْتُ مِثْلَ النَّارِ نَامَ هَارِبًا وَلَا مِثْلَ الْجَنَّةِ نَامَ طَالِبًا))

[الترمذني عن أبي هريرة]

أي لو استعرضت حياة الناس، مشغول
بدخله، مشغول بطعمه بشرابه، برزقه،
بأولاده، مشغول بالدنيا، مشغول
بتجارته، وعمره يزداد، لذلك الآية
الكريمة:
﴿ أَوْلَمْ نُعْرِكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ
وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾

[سورة فاطر: ٣٧]

جاءكم، الآية تقول :

﴿ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ ﴾

أين النذير؟ جاء وانتهى، قرآن كريم، كلام خالق الأرض والسماء، العلماء قالوا:

﴿ النَّذِيرُ ﴾

سن الأربعين، من دخل في الأربعين دخل في أسواق الآخرة، أنت حينما تساور إلى مكان ما
لعشرة أيام، عندك في اليوم الثامن والتاسع والعشر حرقة أخرى بالوقت الأخير من الرحلة، قطع
بطاقة العودة، شراء الهدايا، وما شاكل ذلك، الإنسان إذا بلغ الأربعين، من دخل في الأربعين دخل

في أسواق الآخرة، فلذلك كل إنسان بلغ الأربعين جاءه النذير، أربعون سنة، أربعون صيفاً، أربعون شتاء، أربعون ربيعاً، أربعون خريفاً،أكل، وشرب، وتزوج، وأنجب.
إلى متى وأنت بالذات مشغول وأنت عن كل ما قدمت مسؤوال

* * *

من دخل في الأربعين دخل في أسواق الآخرة، وقالوا أيضاً سن الستين هو النذير، فإذا كان كلام النبي عليه الصلاة والسلام: معرك المنايا بين الستين والسبعين، فالذى وصل إلى الستين معنى ذلك أنه اقترب من الموت، أنت أسؤال عن مات إنسان كم عمره؟ تسعه وخمسون، ثلاثة وستون، واحد وسبعون، اثنان وسبعون، تسعه وستون، هكذا أعمار الناس، معرك المنايا بين الستين والسبعين، فالذى دخل في الأربعين دخل في أسواق الآخرة:

((من بلغ أربعين سنة ولم يغلب خيره شره فليتجهز إلى النار))

[أبو الفتح الأزدي عن ابن عباس]

فالأربعون نذير، والستين نذير، ورد في بعض الآثار القدسية:

((عبدي كبرت سنك، وانحنى ظهرك، وضعف بصرك، وشاب شعرك، فاستح مني فأنا أستحي
منك))

[ورد في الأثر]

التبذلات الصحية السلبية التي تصيب الإنسان دليلاً أن أحذر يا عبدي :



الآن التبذلات الصحية السلبية، كل إنسان بعد الخمسين يقول لك: معي التهاب مفاصل، عندي انزلاق غضروفي، ما من إنسان إلا وعنه مشكلة في صحته، والله عز وجل واجب الوجود، وما سواه ممكن الوجود، واجب الوجود واضحة، هذا في علم العقيدة، أما ما سواه ممكن الوجود أي يمكن أن يوجد ويمكن ألا

يوجد، يمكن أن يكون ويمكن ألا يكون، هناك معنى آخر: ممكن أن يكون على ما هو كائن أو على خلاف ما يكون، أليس الله قادر أن يجعل الإنسان يعيش مئة عام بال تمام والكمال كأنه شاب؟ شاعت حكمة الله أن يكون هناك مرض، وغني، وفقر، كان ممكن ألا يكون هناك مرض، أي هذه الطاولة معدة لورقة وكأس، لو وقف عليها إنسان تحمله، اثنان تحملهم، أربعة تحملهم ، ستة، ثمانية، لو وقف ثمانية رجال على هذه الطاولة تحملهم جميعاً، معنى هذا هي مستخدمة لورقة

وكأس ماء وعندما احتياط مليون ضعف، لو وزنت الورقة وكأس الماء وزنت ثمانية رجال، معنى هذا أن عندك احتياطاً مليون ضعف، لو كان بكل عضو من أعضاء الإنسان احتياط مليون ضعف لما كان هناك مرض أبداً يلغى المرض، لكن شاعت حكمة الله أن يكون الإنسان سريع العطب، أحياناً خثرة بالدماغ تلغى حركته، خثرة بالدماغ أخرى تلغى ذاكرته.

الله عز وجل حرك الرزق والصحة رحمة بالإنسان :

الله عز وجل شاعت حكمته أن يكون هناك مرض، ورثة، الله عز وجل ثبت مليون قانون، هل يستطيع إنسان أن يتوقع أن غداً لا يوجد شمس؟ مستحيل، ممكן تعرف بعد ألف عام - عام ثلاثة آلاف وعشرين، ثلاثة آلاف وأحد عشر - أن يوم الخميس التاسع من شباط الشمس تشرق الساعه الخامسة والثلاثة والعشرين دقيقة، نظام ثابت،



هناك مليون مليون قانون ثابت، الله ثبت كل القوانين، تبني بناء مؤلفاً من مئة طابق من الحديد، الحديد خصائصه ثابتة لو بدل خصائصه يقع البناء، تشتري كيلو من الذهب لو بدل خصائصه صار معدناً خسيساً خسرت مئة ألف، خسرت مئة وثلاثين ألفاً، الذهب ذهب، الفضة فضة، الحديد حديد، الله ثبت خصائص الأشياء، خصائص المعادن، خصائص البذور، ثبت قوانين الدوران، القوانين الفيزيائية كلها ثابتة، وهناك مليون قانون كلها ثابت، لكن حرك قانون الرزق والصحة لأن الله عز وجل أراد أن يؤدب عباده بهاتين الحاجتين الأساسيةتين، ما من إنسان إلا وهو حريص حرصاً لا حدود له على حياته، وعلى صحته، وعلى رزقه، الله عز وجل ثبت مليون قانون كي تنظم الحياة انتظاماً رائعـاً، وحرك قانون الصحة والرزق، لتكون الصحة والرزق أداتين لتأديب البشر، لذلك قال تعالى:

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾

[سورة السجدة: ٢١]

كل هذه الشدائـد من أجل أن نرجع إلى الله عز وجل.

الإنسان خاسر لأن ماضي الزمن يستهلكه :

لذلك من لم تحدث المصيبة في نفسه موعظة فمصيبته في نفسه أكبر ، النبي عليه الصلاة والسلام في هذا الحديث يعجب ، قال:

((ما رأيت مثل النار نام هاربها ولا مثل الجنة نام طالبها))

[الترمذني عن أبي هريرة]



أي الإنسان بوعيه سيعيش أياماً محدودة، أنت بضعة أيام، كلما انقضى يوم انقضى بضع منك، بل إن الله عز وجل يقول:

﴿وَالْعَصْرُ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴾

[سورة العصر: ٢-١]

خاسر أيها الإنسان، هذا كلام الله، جواب القسم: أقسم الله بمطلق الزمن أنت بضعة أيام كلما انقضى يوم انقضى بضع منك لهذا المخلوق الأول الذي هو في حقيقته زمن، قال تعالى:

﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا﴾

خاسر لأن ماضي الزمن يستهلكه، لذلك أنا أتمنى أن نعد أعمارنا عداً تنازلياً لا عداً تصاعدياً، كيف نعد أعمارنا عداً تنازلياً؟ اركب الآن سيارة واذهب إلى حمص، اقرأ اللوحات، حمص مئة وستون، بعد ذلك: حمص مئة وعشرون، بعد ذلك مئة، ثمانون، ستون، أربعون، عشرون، عشرة، خمسة، حمص ترحب بكم، ما اسم هذا العد؟ تنازلي، تصاعدي كم قطعت؟ عشرين، أربعين، ستين، ثمانين، مئة، مئة وعشرين، مئة وستين، الأولى أن نعد أعمارنا عداً تنازلي، لا تقل: كم بلغت من العمر؟ قل: كم بقي لي؟ بعد ذلك شيء واضح جداً، معترك المنايا بين الستين والسبعين، الذي وصل إلى الستين قرب، والذي بلغ السبعين، اقترب من الموت أكثر، هذه حقيقة، كل مخلوق يموت، و لا يبقى إلا ذو العزة والجبروت:

و الليل مهما طال فلا بد من طلوع من الفجر
والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر

و كل ابن أثني و إن طالت سلامته يوماً على آلة حباء محمول
فإذا حملت إلى القبور جنازة فاعلم بأنك بعدها محمول

العاقل من أعد لساعة التي لا بد منها :

والله مرة لا أنسى أحد الأخوة توفاه الله
شيعناه إلى القبر، فتح النعش، وحملت
الجثة، ووضع في القبر، كشف عن
وجهه، وضعت البلاطة، أهيل التراب
عليه، أنا أعرف بيته عنده أذواق تفوق
حد الخيال، أعرف بيته، عمله، دخله،
الزينة في بيته مذهلة، قلت: سبحان الله!
هذا المصير، والله جاعتي ومضة ما
رأيت على وجه الأرض إنساناً أعقل



ولا أذكي من يعذ لهذه الساعة التي لا بد منها.

هناك عالم جليل أنا أظنه من العلماء الصالحين الورعين، اشتري قبراً بالدجاج، يقول لي أحد تلاميذه الكرام، كان تلميذه الأول: كل خميس كان الشيخ يزور قبره، مكتوب على الشاهدة اسمه، لكن مكان التاريخ فارغ، تقريباً سنوات طويلة كل خميس يزور قبره هنا المصير. والله يا أخوان أنا العبد الفقير تبعت جنائز لا أعرفها، لا أعرف من هو المتوفي، لكن حينما يفتح النعش، ويحمل الميت، ويوضع في القبر، نحن جميعاً سوف يفعل بنا هكذا، واعلموا أن ملك الموت قد تخطانا إلى غيرنا، وسيتخطى غيرنا إلينا، فلنأخذ حذرنا، الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت.

الموت لا ينكره أحد لكن لا نعيشه أبداً :



سأقول لكم كلاماً فيه شيء من الواقعية،
الموت لا ينكره أحد، لكن لا نعيشه
أبداً، متى الإنسان يعيش الموت؟ لا
سمح الله ولا قدر إذا جاءته أزمة قلبية،
قال لي إنسان: أنا أعيش مثل الناس،
جاءته أزمة قلبية أخذوه إلى المستشفى،
يقول لي: أنا لست مستقيماً، لا أصلني،
أثناء الأزمة قلت: يا رب سوف أقابلك
بلا ثياب، اسمح لي بأسبوع فقط

لأتوب، والله مد بحياته وتاب، لكن الموت لا نعيشه، أنا لي تجربة لا أنساها، كنت مسافراً إلى

أستراليا، فتحت الانترنت على الحرارة كلكم يعلم أن أستراليا في القسم الجنوبي للأرض، الفصول هناك عكس الشمال، أنا كنت في الصيف، الحرارة خمسة وأربعون، وكدنا نخرج من جلوتنا من الحر، بالانترنت مكتوب أن الحرارة اثنان في الليل وستة في النهار، أنا أعيش في درجة حرارة تقدر بخمسة وأربعين، وكان الحر أثر على فأخذت ثياباً خفيفة جداً، جميع ملابسي كانت صيفية، وصلت إلى سيدني عندي درس في الجامع صباح أول يوم وصولي، يمكن لمأشعر بالبرد بحياتي لهذا اليوم، ألبس عباءة خفيفة والناس يلبسون فروة، هذه قصة لا أنساها، بين أن يكون البرد كفكرة وبين أن تعيش الحر الواقع، كل الناس الموت فكرة عندهم، سوف نموت، الله يرحمنا، الله يتوب علينا، هكذا كل الناس، لكن عندما يصاب بمرض قريب من الموت، ينسى طيب أمها.

الدنيا دار عمل وابتلاء والآخرة دار جراء وإكرام :

إنسان اشتري بيته في الشام لكنه تعب به تعباً غير معقول، زينه تزييناً مذهلاً، وكله ملابس، بعد أن انتهى البيت جاءته أزمة قلبية، فزاره صديق لي، قال له بالضبط: ابنة الحرام غداً عندما أموت تتزوج، يأتي إنسان آخر إلى البيت، هل هذه قليلة؟ تتعب بلا جدوى، والله هناك قصص أعرفها صعب أن تصدق، بعدها كسا البيت لمدة سنتين ونصف، و البيت في الطابق الثاني عشر، بشارع ركن الدين، مطل على الشام، بعدهما اعتنى به عناية تفوق حد الخيال، كل شيء بأعلى درجة، حتى أحضر رخاماً اسمه أونكس، تحته وضع إضاءة و كان الأرض مشتعلة، هذا رخام شفاف و هو غالى الثمن، بعدهما انتهى بأيام وافته المنية.

أحد أخواننا عمر بيته في المصيف،
أراني إيه المتعهد و هو أحد أصدقائي،
بيت غير معقول، صاحبه يملك ذوقاً
بشكل غير معقول إطلاقاً، فكان
الخميس سيسكنه، لم يأت الخميس
أخبرهم المتعهد السبت أن البيت انتهى،
فقالوا له: إنه قد مات، يوم انتهى البيت
وافته المنية، أنا أقول لك: أعمل،
وادرس، وتزوج، واشتري بيته، لا



يوجد مانع، لكن أدخل الآخرة بحساباتك، أدخل الإله العظيم بحساباتك، أدخل الموت بحساباتك، هذا الذكاء يا أخوان، تعلمنا في الجامعة أن الذكاء هو التكيف، الذكاء تعريف جامع مانع، مما هو

الذكاء؟ أن تتكيف مع حدث الموت، التكيف معه بطلب العلم، التكيف معه بالاستقامة، التكيف معه بالتوبية، التكيف معه بإنفاق المال، قال: من أنفق ماله أمامه سره اللحاق به، أعرف رجلاً صالحًا جداً إذا جاءه إنسان يطلب منه مبلغًا كمساعدة - لكن لا أحد يفعلها - يعطيه مفتاح الصندوق ويقول له: خذ ما شئت ولا تعلمني، إنفاقه كبير، بلغوه أن الموت بعد يومين، معه مشكلة، جاءته المكالمة بالخطأ، أول يوم استقبل أهله وأصهاره وأولاده وودعهم، في اليوم الثاني حل مشكلاته التجارية كلها، في اليوم الثالث انتظر وفاته وكان مرتاحاً جداً.

الآن أخواننا البطولة أن تستعد لهذا الحديث الخطير، حدث الموت، الموت عرس المؤمن، الموت تحفة المؤمن، أجمل درس إنسان درس ووصل إلى مرحلة السفر، والسهر، والعمل بالمطاعم، والحراسة، حتى نال الدكتوراه، الآن مرحلة التكريم، الدنيا دار عمل، دار ابتلاء، والآخرة دار جزاء، دار إكرام.

والحمد لله رب العالمين